LINGUISTIC ISSUES

ISSN Online: 2773-2886 | ISSN Print: 2773-2894

A biannual peer reviewed academic non-profit and open access journal on Various Language and Linguistic Issues

Article title: Identity crisis of Algerians diaspora between self-culture and foreign language -Malek Haddad as a model-

Author(s): Mohammed Lamri

Source: Linguistic Issues Journal(LIJ) | مجلة قضايا لغوية, Vol. 4, No. 2, (June 2023), PP85-98

Publisher: Center for Scientific and Technical Research for the Development of the Arabic Language(CSTRDAL) - Linguistic Research Unit and Arabic Language Issues in Algeria(LRUALIA)

Url: https://qadaya-lugawiyat.dz/index.php/LIJ/article/view/53 Update

How to cite(APA): Lamri, M. (2023). Identity crisis of Algerians diaspora between self-culture and foreign language : -Malek Haddad as a model-. مجلة قضايا لغوية | Linguistic Issues Journal, 4(2), 85–98. Retrieved from https://qadaya-lugawiyat.dz/index.php/LIJ/article/view/53

Usage Agreement: By using the LIJ journal you are indicating your acceptance of the Terms & Conditions of Use, available at: https://qadaya-lugawiyat.dz/index.php/LIJ/Usage_Agreement

Qaḍāyā luġawiyaẗ (Linguistic Issues) is licensed under a **Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License**

This content is **Open Access**

Disclaimer

The opinions expressed in the texts published are the author's own and do not necessarily express the views of the Editorial team of the Journal of **Qaḍāyā luġawiyaẗ** (Linguistic Issues)

The Authors assume all responsibility for the ideas expressed in the materials published

Authors warrant that the rights of third parties will not be violated and that the publisher will not be held legally responsible should there be any claims for compensation

L I J

Copyright reserved to the author © 2023

Qaḍāyā luġawiyaẗ (Linguistic Issues)

Center for Scientific and Technical Research for the Development of the Arabic Language(CSTRDAL)

Linguistic Research Unit and Arabic Language Issues in Algeria(LRUALIA)

For more information about LIJ, please visit: https://qadaya-lugawiyat.dz or contact us: contact@qadaya-lugawiyat.dz

Download from : https://qadaya-lugawiyat.dz/index.php/LI/article/view/53

أزمة الهويّة عند الرّوائيين الجزائريين المهجريين بين ذاتية الثّقافة وأجنبية اللّغة - مالك حداد أنموذجا -

Identity crisis of Algerians diaspora between self-culture and foreign language -Malek Haddad as a model-

محمد لعمري *
مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربية
وحدة ورقلة - الجزائر

Mohammed Lamri

Center for Scientific And Technical Research On Arabic Language Development
Linguistic Research Unit And Arabic Language Issues In Algeria (Ouargla – Algeria)

m.lamri@crstdla.dz

تاريخ استلام المقال:2023/05/24	تاريخ القبول: 2023/06/10	تاريخ النشر:2023/06/15

ملخص

عالجت الرّواية الجزائرية المكتوبة باللّغة الفرنسية مختلف القضايا المتعلقة بالإنسان الجزائري؛ إذ استطاعت تصوير واقعه والتّعبير عن شخصيته برؤى إبداعية فنية صادقة، غير أنّ إشكالية اللّغة والهوية وإشكالية الانتماء الدّيني والعرقي والإيديولوجي ظلتا تشغلان أذهان الرّوائيين الجزائريين المهجريين الذين عاشوا غربة الوطن وغربة اللّغة، فهل استطاع الرّوائي الجزائري تخطي أزمة الهوية في رحلة بحثه عن ذاته الجزائرية والتّعبير عن خصوصياتها الثّقافية في أدبه؟ أم حال عائق اللّغة عنده دون ذلك؟ لذا يسلط هذا البحث الضّوء على قضية إثبات الهوية الوطنية- بهدف إبراز أهميّتها في ظل الكتابة بلغة الآخر عند الرّوائيين الجزائريين وعلى رأسهم مالك حداد الذي شبّه اللّغة الفرنسية التي يكتب بها بالمنفى.

الكلمات المفاتيح: اللّغة؛ الهوية؛ الرّواية؛ الثّقافة؛ مالك حداد.

Abstract

The Algerian novel, written in French, addressed various issues relating to Algerian man, as it was able to portray his reality and express his personality with creative artistic

* المؤلف المرسل: محمد لعمري البريد الإلكتروني: m.lamri@crstdla.dz

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

insights. However, the problems of identity and religious, ethnic and ideological affiliation continued to occupy the minds of Algerian immigrant novelists who lived away from the homeland and language. Hence, was the Algerian novelist able to overcome the identity crisis in his journey of searching for the Algerian self and expressing its cultural particularities in his literature? Or did the language barrier prevent it? The research therefore highlights the issue of proving national identity while writing in the language of the other among Algerian novelists such as Malek Haddad, who likened French language writings to exile.
Keywords: Language; identity; novel; culture; Malek Haddad.

1. مقدمة

نشأت الرّواية الجزائرية المكتوبة باللّغة الفرنسية في ظروف اجتماعية وسياسية وتاريخية خاصة؛ حيث ارتبطت بمرحلة من تاريخ المجتمع الجزائري خضع فيها الواقع الثّقافي للواقع السّياسي الذي تطور في ظروف مأساوية أدت إلى ظهور تناقضات اجتماعية وفكرية أفرزت أدوات تعبيرية أجنبية (منور، 2007م، ص 175)، حيث سعى الاستعمار الفرنسي جاهدا لفرض سياسته التي تهدف إلى نشر ثقافته وتعزيز استخدام لغته جاعلا منها اللّغة الرّسمية وأداة التّعبير الرئيسة في البلاد، فلم يتوانى في فرضها على الشّعب الجزائري عامة والكتّاب الجزائريين خاصّة بشكل مباشر وغير مباشر مما أدى إلى نشأة أدب مكتوب باللّغة الفرنسية أدب ذي طابع سياسي واجتماعي، تمسّك فيه الكتّاب الجزائريون بقضايا شعبهم حين أحسّوا بالمشاكل التي يعانيها، فأبدعوا في وصفها رغم استخدامهم للغة العدو، فكان لهم تأثير كبير في تاريخ الأدب الجزائري وهذا خير دليل على نجاح العملية الإبداعية عندهم والتي تجلّت في روايات أبدع فيها أمثال محمد ديب ومولود معمري وكاتب ياسين وآسيا جبّار ومالك حداد وغيرهم، لذا سنحاول في هذا البحث الإجابة على مجموعة من الإشكالات - التي تُطرح كلّما ذُكر الرّوائيون الجزائريّون الذين كتبوا باللّغة الفرنسية - أبرزها: هل ما كتبه الرّوائيون الجزائريون باللّغة الفرنسية يعدّ أدبا جزائريا أم أدبا فرنسيا؟ ما هي آراء النّقاد والأدباء والباحثين حول جنسية هذا الأدب؟ وما رأي مالك حداد في هذه القضية؟ لذا سنحاول الإجابة على كل هذه التّساؤلات انطلاقا من وجهة نظر الكتّاب أنفسهم ووجهة نظر النقاد والقرّاء.

2. إشكالية اللّغة في الرّواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية :

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

أثارت قضية الأدب الجزائري المكسو باللّغة الفرنسية الجدل والنّقاش وسط الأدباء والنّقاد والباحثين حول موضوع الهويّة والكتابة بلغة المحتل الفرنسيّ بين من يقول جزائريّته ويدافع عنها، وبين من ينفيها ويرفضها، لذا وجب التّنويه إلى وجوب الموضوعيّة في هذا الشّأن إذ إنَ لهذا النّوع من الأدب دوافع وظروف أسهمت في نشأته وتكوينه وتطوّره؛ فالكتابة باللّغة الفرنسيّة ليست مسألةً اعتباطيّة أوجدتها الصّدف بل هيّ نتيجة تواجد احتلال فرنسي تجاوز وجوده قرناً من الزّمن في الجزائر، وهو الذي عمد على تجهيل عموم الشّعب الجزائريّ الذي لم يحظ الكثير منه بفرص التّعليم إضافة إلى انتشار اللّغة الفرنسيّة باعتبارها لغة رسميّة للتّواصل والمراسلات الإدارية وغيرها... فالنّقاش حول الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسية مسألة معقّدة ومحورية في السّاحة الثّقافية والأدبية في الجزائر كون هذا الأدب نشأ نتيجة تأثير الاستعمار الفرنسي، وكون استخدام اللّغة الفرنسية في الكتابة الأدبية الجزائرية ارتبط بالعديد من الأسباب والظّروف التّاريخية والاجتماعية حاول فيها الاستعمار قمع الثّقافة الجزائرية وتجهيل الشّعب الجزائري وطمس تراثه الثّقافي والقضاء على لغته. كما أنّ التّعليم كان باللّغة الفرنسية وكان مقتصرًا على الطبقة المثقّفة، لكن رغم ذلك لجأ العديد من الكتّاب الجزائريين إلى استخدام اللّغة الفرنسية كوسيلة للتّعبير عن تجاربهم وأفكارهم والتّعبير عن هويّتهم الجزائرية ومواجهة مساعي الاستعمار من خلال الكتابة بلغته، فتمكّن هؤلاء الكتّاب من الوصول إلى جمهور أوسع داخل الجزائر وخارجها، ونقل الواقع الجزائري والتّعبير عنه والنّضال من أجل نيل الحرّية والاستقلال واستمر هذا الأمر بعد ذلك زمنا طويلا.

كما أنَ هؤلاء الكُتَاب عبر اتّخاذهم اللّغة الفرنسيّة لغةً لكتابة أعمالهم كانوا مجبرين في جلّ الحالات على اختيارها كما أنّ ما يُحسب لهم أو ما يشفع لهم من جهة أخرى إساهمهم ولو بالشّيء اليّسير في تدويل القضيّة الجزائريّة عبر اللّغة الفرنسيّة نفسها؛ فالأوروبيّ الذي قرأ الدّار الكبيرة مثلا في ذلك الوقت تشكلت له صورة حقيقيّة عمّا يحدث فعلا داخل الجزائر . (يحيى، 2020م، ص 40)

يقول عبد الله الرّكيبي :" الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية قد أوجد لظروف و أسباب في مرحلة معينة وهو إن كتب بلغة أجنبية فإنّه عبّر عن مضمون جزائري وواقع وطني الأمر الذي يجعل منه أدبا محليا وطنيا." (الرّكيبي، 1983م، ص249) ويقول عبد الملك مرتاض:" إنّ رأيي في هذا الأدب سيء جدا، وقد أكون مخطئا فيما أرى وقد أكون قاسيا فيما أحكم ...أنّ هذا الأدب غريب نفسه ومنفي من موطنه

CC BY NC
E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

الذي كتب فيه، ولم يستطيع أن يلعب دورا خطيرا في إذكاء نار الثّورة التي فيضت للشّعب الجزائري أن يكسر قيود الاستعمار الثّقيلة. (مرتاض، 1969م، ص 21)

اختلفت رؤى وآراء الكتّاب أنفسهم حول إشكالية التّعبير باللّغة الفرنسية في كتاباتهم بين من يرى أنّها نعمة وبين من يرى أنها نقمة، فترى "آسيا جبار" أنّها عندما تريد أن تعبّر عن أحاسيس أو عن عادات المرأة الجزائرية مثلا... تجد نفسها أمام مشكلة ترجمة عواطفها وأفكارها العربية باللّغة الفرنسية؛ وأن هناك شيئا ما ينقص الصورة. (خضر،1967م، ص7) ويقول مالك حداد :"إنني معقود اللّسان أنا لا أغني... آنا لا أغني... فلو كنت أعرف الغناء لقلت شعرا عربيا، لقد شاء الاستعمار أن يكون في لساني آفة أن أكون معقود اللّسان." وقال أيضا: "نحن نكتب بلغة فرنسية لا بجنسية فرنسية". (الأعرج، 1986م، ص77) بينما لمولود فرعون رأي آخر في قوله:" لا يجب أن نبكي أو نشعر بالضّياع لأننا نكتب باللّغة الفرنسية فإنني لا أشعر بأي عقدة نقص، الكاتب مهما كانت اللّغة التي يكتب بها إنّما يقوم بعملية ترجمة لعواطفه وأفكاره ويبذل مجهودا كبيرا في سبيل التّوصّل الى الشّكل الذي يريده أو يرغب أن يظهر به عمله الجديد إنّني أقول أنّ فرصة الكتابة بالفرنسية ثروة للثّقافة الجزائرية (المناصرة، 2013م، ص370).

رغم تضارب الآراء واختلاف المواقف حول هوية هذا الأدب ولغته إلاّ أنّ معظم النّقاد يرون أّن الكاتب قد يستعير اللّغة والشّكل والتّقنية والأيديولوجية لكنّه لا يستعير المجتمع الذي نشأ فيه والذي ينبثق منه النّص ويعبر عنه ويرتبط به، لذلك قد يكتب بلغة الآخر إلاّ أنّه لا يكتب إلاّ عن المجتمع الذي ينتمي إليه وبالتّالي لا يتحدّث في عمله الرّوائي السّردي إلاّ عن الثّقافة التي خرج منها وعاش في وسطها تلك الثّقافة التي شكّلت وجدانه عبر مختلف مكوناتها السّياسية والتّاريخية والاجتماعية والعقائدية والأخلاقية والعائلية والجغرافية. (مسلم، 2004م، ص71)، فبناء الهوية والكيان الشّخصي قائم على قيام وبناء عدة مقوّمات شخصية كاللّغة والدّين والثّقافة والإرث التّاريخي والحضاري ...

3. تجربة الهجرة عند الرّوائيين الجزائريين :

عاش معظم الكتّاب الجزائريين الذين يكتبون باللّغة الفرنسية تجربة الهجرة إلى فرنسا حين أقاموا فيها إمّا بحثا عن العمل الذي لم يجدوه في بلادهم، وإمّا مواصلة لدراستهم بعد اكتشافهم للثّقافة الغربية في المدارس الفرنسية الموجودة في إفريقيا الشّمالية؛ وإمّا خلال الخدمة العسكرية، وفي كثير من الأحيان

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

نجد أنّ هذه الرّحلة -مهما كان هدفها- تشكّل الأساس في المحاولة الأدبية الأولى لهؤلاء الكتّاب لذلك نجد الأعمال الأولى التي يكتبها أديب من إفريقيا الشّمالية هي عادة ترجمة شخصية يفصح فيها عن انتمائه الثّنائي إلى عالمين مختلفين كما يعبّر فيها عن ألمه عن عدم استطاعته أن يجد مكانًا في أي من هذين العالمين... (سعد الله، 2007م، ص71) ويعبّر فيها عن المشاكل والصّعوبات والتّحديات اللّغوية والدّينية والثّقافية والاجتماعية التي تواجهه لتمثيل هذه الظّاهرة وتصويرها عبر نماذج بشرية وتجارب عديدة ومختلفة لشخصيات متخيّلة، فالرّواية من أبرز الفنون الأدبية التي تنقل لنا تجارب واقعية مستمدة من حياة المهاجرين التي يعيشونها في ديار الغربة، والرّواية تتميز أيضا بقدرتها الفريدة على تجسيد إشكالية الذّات والآخر حين تستعرض الواقع بكل تفاصيله الواقعية مما يتيح لكاتبها التّعبير عن مخاوفه وآلامه وأفكاره، كما تتيح للقارئ فرصة فريدة لفهم صراع الذّات مع الآخر بشكل متكامل، وتساعده في استكشاف التّحديات والصّعوبات التي يواجهها الفرد أثناء تعامله مع الآخر .

.4. ثنائية اللّغة والهوية في الرّواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية:

تتبوأ قضية اللّغة والهوية مكانة مركزية مهمة باعتبارها قضية نظرية فكرية سواء طرحت من زاوية فلسفية أنثروبولوجية، أم كانت قضية سياسات تنفيذية تربوية وثقافية، فهي قضية وجودية لمستقبل الثّقافة والمجتمع، فاللّغة من المؤشرات المهمّة للهوية إذ تساهم في تشكيلها وتعزيزها، والهوية الاجتماعية بوصلة المجتمعات والوعاء الحافظ لحيويتها واستمرارها في هذا الكون، والعلاقة بين اللّغة والهوية علاقة وثيقة جدا ومتشابكة فإذا كانت الوحدة الوطنية لأي شعب هي قاعدة الارتكاز للبناء الحضاري والتّقدم والتّطور والتّنمية في المجالات كافة فبغيابها يفقد الشّعب المرتكزات الأساسة لأمنه واستقراره وقدرته على احتواء الأزمات النّاشئة عن الاختلافات العرقية والدّينية والطّائفية، لذلك هي ضرورة أساسة ومطلب يقاس على ضوئه مدى انسجام المجتمع وتقدمه و قدرته على تحقيق حالة الوفاق بين فئاته و قطاعاته، والفرد يستمد إحساسه بالهوية والانتماء من الشّعور القومي ذاته فيحسّ بأنّه ليس مجرد نكرة وإنّما يشترك مع عدد كبير من أفراد الجماعة في عدد من المعطيات والمكونات والأهداف، وينتمي إلى ثقافة مركبة من جملة من المعايير والرّموز و الصّور.

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

إنّ أي تعريف للّغة لا يعترف بمحورية الهوية يعد ضربا من اللّغو المفاهيمي الذي لا قيمة كبيرة له، كما أنّ أي تعريف للهوية لا يراعي اللّغة لهو تعريف ناقص، فاللّغة هوية ناطقة وتتمثل في حقيقة أن مفردات اللّغة تكتسب معاني مختلفة بحسب هوية النّاطق بها واللّغة لا تكون أداة توصيل للأفكار والمعاني إلاّ إذا انغمست في هوية صاحبها وانبثقت منها. (البريدي، 2012م، ص31)، فالتّرابط بين اللّغة والهوية هو دائما ترابط قوي بحيث أن سمة واحدة لاستعمال اللّغة تكفي لتعيين علاقة شخص ما بجماعة ما (تابوري، 2009م، ص683). فاللّغة والهوية يؤثّر أحدهما في الآخر، فيؤثر الاختيار اللّغوي واستخدام اللّغة في تشكيل وتكوين الهوية، وفي المقابل يؤثر الوعي الهوياتي والانتماء الثّقافي في اختيار واستخدام اللّغة، " يؤكد خبراء العلوم الإنسانية أنّ ثمة أربع مسلّمات أساسيّة ينبغي استحضارها عند معالجة مسألة اللّغة وهي:

- اللّغة وعاء للفكر وأداة للتّفكير
- اللّغة وسيلة للتّواصل
- اللّغة عنوان الهوية للفرد والمجتمع

ترتبط اللّغة بالثّقافة والقيم الحضارية.

وما يهمّنا في هذا المجال هو ذلك الارتباط الوثيق بين اللّغة والهوية حيث تبرز أهمية اللّغة بوصفها ملمحا أساسا لشعور الفرد، وكذا الجماعة اللّغوية بهويتها، فإلى حد كبير يمكننا أن ندرك أشياء كثيرة عن هوية شخص ما بمجرد استعماله للّغة، فنتعرف مثلا على جنسيته وثقافته، وسنه، وجنسه ودينه" (عياض، 2022، ص 65).

مثّلت الهوية في الرّواية الجزائرية جوهر الموضوع وبؤرة الصّراع الدّاخلي للعمل الرّوائي لذلك فإنّ أغلب الكتابات الإبداعية مارست نوعا من التّفاعل الوظيفي بين الجوانب المختلفة للواقع الاجتماعي فكان هناك ربط مباشر بين الواقع الاجتماعي والدّيني والأخلاقي واللّغوي؛ لهذا كان موضع كتابات الرّوائيين الجزائريين متمحورا حول العنف والانتماء والأنا والآخر، فالهوية تمثّل المرتكز الفعلي للحضور الاجتماعي ونقطة انطلاق التّصور المستقبلي للجماعة؛ فهي القوة الخفية التي تحرك الذّات وتجعلها قادرة على الشّعور والممارسة؛ ولمّا كانت هذه هي ميزة الهوية فإنّها مثّلت العنصر المستهدف في كل الصّراعات والحروب لأن من يسيطر على الهوية يكسب الصّراع وهنا اشتغل الأفراد والجماعات على آليات منهجية وإبداعية متعددة لحفظ الهوية ومعالجتها خلال مراحل التّصدّع التي يمكن أن تتعرض لها، وقد عمل الرّوائي الجزائري من أجل الارتقاء بنمط الكتابة الرّوائية ومعالجة الهشاشة الحاصلة على مستوى الهوية الجماعية متجاوزًا بذلك حدود الواقع إلى فضاء المتخيل (قحام، 2016م 2017م، ص 490)، فالرّواية

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

الجزائرية تتناول قضايا الهوية الفردية والجماعية معا، وتسلط الضوء على التّوترات والصراعات التي تنشأ من تعددها وتضاربها، فتتنوع وتتباين رؤى الكتّاب وتجاربهم في التّعبير عن الهوية وتعكس التّناقضات والتّحولات التي تحدث في المجتمع والتي تؤثّر في الشّخصيات الرّوائية.

5.اللّغة والهوية في كتابات مالك حداد :

يعدّ مالك حداد نموذجا للكاتب الجزائري الذي يعيش حالة اغتراب لغوية، أدّت به في النّهاية إلى أن يصرخ مباشرة بعد الاستقلال "الفرنسية منفاي، لذلك قرّرت أن أصمت"، وهو القائل قبل ذلك "أكتب باللّغة الفرنسية لأقول للفرنسيين إنني لست فرنسيا" إنّه تمزق مبدع كبير بين ذاته الموغلة في الحضارتين العربية والأمازيغية، ولسانه الذي ورثه عن استعمار جاء ليطمس ملامحه ولا يورثه إلا يتمه.

ولد مالك حداد في صيف 1927م بمدينة قسنطينة وفيها عاش طفولته وتلقى تعليمه الأول. ثم التحق بجامعة إكس أون بروفانس بفرنسا، وحصل على شهادة في الحقوق، عاد بعد الاستقلال إلى قسنطينة المدينة التي سكنت نفسه ونصه، وقرّر أن يرعى المواهب الأدبية الجديدة من خلال إشرافه على القسم الثّقافي ليومية "النّصر"، ثم مجلة "آمال" التي أسّست لجيل أدبي جديد، كان حداد يرى في الأصوات الجديدة عزاءه بعد أن قرّر "الصمت الإبداعي"، فتحول إلى مدرسة أدبية في الرّواية والشّعر، ومن المفارقة أنّ معظم المنخرطين فيها من الكتاب باللّغة العربية، لقد كان توليه الأمانة العامّة لاتحاد الكتّاب الجزائريين واضطلاعه بمنصب عال في وزارة الثّقافة والإعلام في عهد الرئيس الرّاحل هواري بومدين نافذة منحت كثيرا من الشّمس للمواهب الجديدة، رحل مالك حداد في الذّكرى السّادسة عشرة لاستقلال الجزائر عام 1978، مخلفا رصيدا أدبيا ثريا يتكون من عدّة روايات : "الانطباع الأخير"، وسأهبكِ غزالة"، و"رصيف الزهور لا يجيب"، وديواني شعر : "الشقاء في خطر" و"أسمع وأناديك"، ودراسة واحدة "الأصفار التي تدور في الفراغ (بوكبة،2014م) يرفض مالك حداد تسمية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية وإنما يسميه الأدب الفرنسي ذو التّعبير الجزائري وهو تعبير لم يستعمله قبله ولا بعده أحد؛ ويلخص وجهة نظر لغاية من الدّقة والإيجاز فهو يؤكّد من جهة على "الرّوح" الجزائرية التي كتب بها وتجلت من خلال المضمون الذي عبّرت عنه ؛ ولكنّه يعدّه فرنسيا بالنّظر إلى وسيلة التّعبير آلا وهي اللّغة التي كتب بها. (منور، 2006م، ص122).

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

عاش "مالك حداد" حياتي نفي في كتاباته : حياة الوطن المتخيلة وحياة المنفى في فرنسا هذه الحياة الأخيرة التي عانى منها معاناة باتت واضحة في رواياته، فحسب رأيه منفاه لم يكن بعده عن الدّيار والحرمان من الأهل، فالمنفى عنده هو بعده عن ثقافة وطنه ومقومات هويته والتي كانت اللّغة أهمها حيث أبعد عنها كل البعد فهو يشعر في قرارة نفسه أنّه عربي الدّماء مسلم العقيدة وأنّه ينتمي إلى منطقة من العالم لها تقاليدها الخاصة وعاداتها المميزة ومشاكلها الوطنية مع الاستعمار الذي فرض لغته على أهالي البلاد وحرمهم من تعلّم لغتهم الوطنية وقد انعكس هذا الصّراع الذي عاشه بين حضارته وهويته العربية وبين الحضارة الأوربية وهويّتها، إذ يقول:

أبتاه

حرمت فتاك

موسيقى الجسد . . . انظره:

يرطن باللّسان الأجنبي

كلمات تعلمها

يوم كان راعيا (حداد، 2008م، ص11)

لم تشتهر مقولة في الأدب الجزائري المعاصر، مغاربيّا وعربيا، مثلما اشتهرت مقولة مالك حداد : «إنّ اللّغة الفرنسية لمنفاي» والتي وردت في مطلع روايته «سأهبك غزالة»، هكذا كتب مالك حداد يقول : «اللّغة الفرنسية حاجز بيني وبين وطني، أشدّ وأقوى من حاجز البحر الأبيض المتوسط، وأنا عاجز عن أن أعبّر بالعربية عمّا أشعر به بالعربية، إنّ الفرنسية لَمنفاي" (حداد، 1968م، ص 05)، لم تنافسها ربما في الانتشار والشّهرة، سوى مقولة أخرى تبدو مخالفة قليلا لمقاصدها، حتى وإن تقاطعت معها اشتراكا في طرح سؤال اللّغة المهيمنة، يتعلق الأمر بمقولة كاتب ياسين الشهيرة «الفرنسية غنيمة حرب»، وبين القولين تباينت الأطروحات وتعدّدت المواقف، وسرعان ما اتخذ النّقاش فيما بينهما منحى تجاوز الطّرح اللّساني للإشكالية الهوياتية في الأساس، لترسو رهينة تحت قبضة الإيديولوجية والتزمّت اللّغوي وحتى العرقي، مما أفسد للأسف نقاشا ثقافيا وسوسيولوجيا مهمًا، كان سيخفف قليلا من وطأة تعصّب طالت جنايته الهُوية الجزائرية بجميع مكوّناتها ولعلّ موقفه المثير للجدل في انتصاره للغة العربية، وانسحابه من الكتابة تجسيدا لرؤيته العميقة للأشياء أورده من خلال واقعة حقيقية، الكاتب أحمد دوغان في كتابه

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

«شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر»، في حادثة تنطوي على رمزية شديدة، حينما التقى الدكتور عبد الله الرّكيبي بمالك حداد أمام مبنى اتحاد الكُتاب الجزائريين، قبل وفاته بمدة قصيرة، بعد أن شاهد طفلا صغيرا يرافقه، ينطق اللّغة العربية بفصاحة، سأله الرّكيبي من هذا؟ ليجيب مالك حداد: «هذا انتقامي من اللّغة الفرنسية.. إنه ولدي (عمير، 2018م).

تعد رواية "سأهبك غزالة" لمالك حداد مقارنة بين عالم فرنسي مادي وعالم جزائري رومانسي في صراع بين هويتين هوية فرنسية فرانكفونية وأخرى جزائرية عربية ينقل مالك حداد من خلالها صورة واقعية عن مشاعره وانطباعات عدد من أفراد الشّعب الجزائري الذين عاشوا التّجربة ذاتها أثناء فترة حرب التّحرير فيروي لنا قصة حب بين سائق شاحنة وفتاة تعيش في الصّحراء بدلالاتها وانطباعاتها وحول مدى وقوع إلتباسات الهوية بغية تشكيل هوية جزائرية عربية محضة حيث يطرح الكاتب قضية الالتزام من خلال قصة حب كانت موضوع مخطوطة فلم يستطيع الكاتب نشرها بسبب اندلاع الحرب في بلاده وهذه الرّواية كتبت بالفرنسية ونشرت في دور النّشر بفرنسا، والرّواية عرض لحياتين حياة عاشها المؤلف في فرنسا وحياة متخيلة، وبطل هذه الرّواية يعاني من إشكالية التّعاطي مع هويته الجزائرية إذ إنّه يعيش في باريس نتيجة الاحتلال الفرنسي للجزائر، واسم البطل في هذه الرواية مهمش فهو يشار إليه بالمؤلف.

جسّد مالك حداد فكرة الصّراع الحضاري بين الشّرق والغرب وأملى مجموعة من السّيمات الدّالة على ذلك منها هجرة أبناء الوطن الأم إلى أرض غربية (فرنسا) طلبا للعلم أو العمل وتمثل هذه الرّحلة نعيا للذّات المفصولة ومصدر فصلها فتحوّلت باريس مدينة الجن والملائكة إلى مدينة أشباح الماضي المعاتب المستنكر والمذكر فتضاعفت آلام البعد والتّخلي عن الوطن لذلك نجد حدّاد يصوّر الوجوه والأبدان والهيئات ولا يهتم بمكان الغربة والمنفى، ومنزع حداد تغييب من غيبه فعمد إلى الجزئي الخاص وهمش كل ما هو عام دال على المكان وأهله؛ ويبقى المستعمر بملامحه البشعة مرآة الآخر لرؤية الذّات فعندما تحتوي الذّات على نماذج مغايرة هي جزء منها وتستبطن أساليب مختلفة فإنّها تقيم علاقة حيوية ومثمرة مع ذاتها تمكّنها من تجديد قوالبها الفكرية وتحديث هويّتها الثّقافية والتّاريخية، لذلك رأى حداد في لغة المستعمر منفاه وغربته وتحسّس عن قرب مدى الاغتراب الذي تعانيه جماعته. لأنا ذاته وأناته مقابلها النحن وهذا الأخير مفصول مقيد مجبر على نصفية الهوية. (بوزيدي،2014م، ص 44 -45)

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

إنّ التباس الهوية الوطنية الذي وقع فيه "مالك حداد" وغيره من الأدباء في كتاباتهم لم يكن بمحض إرادتهم، فقد جاء نتيجة للسّياسة الاستعمارية التي فرضتها فرنسا والتي كانت تهدف إلى نفي الشّباب الجزائري وإبعاده عن مقوماته الشّخصية ومعالم هويته العربية وقد عملت على دمج الشّباب الجزائري في حضارتها وإبعاده عن حضارته العربية وذلك بإبعاده عن وطنه، فقد عانى الشّباب الجزائري من الضياع بين حضارتين عربية جزائرية وأوربية فرنسية. كما عانى في تحديد هويته أعربية أم غربية؟ أأصلية أم مكتسبة؟

6. خاتمة

- تأثر المشهد اللّغوي في الجزائر بآثار وتداعيات الاستعمار الفرنسي الذي سعى إلى نشر لغته وتعميمها والحفاظ على بقائها وجعلها لغة رسمية مستخدمة في جل القطاعات الحكومية والإدارية وأداة للتّعليم في المدارس كما سعى أيضا في المقابل إلى إقصاء اللّغة العربية من النّظام التّعليمي والتّشريعات الرّسمية وغيرها من الأنظمة والقطاعات، فكانت سياسته اللّغوية المنتهجة محاولة منه لتحقيق الهيمنة الثّقافية وإلغاء عناصر الهوية العربية الإسلامية في الجزائر بالتّرويج للثّقافة الفرنسية والقيم الغربية، غير أنّ الشّعب الجزائري نجح في مواجهة تلك التّحديات عبر الحفاظ على لغته وهويته العربية واستطاع مجابهة تلك السّياسات الاستعمارية التي سعت إلى محاربة دينه ولغته وطمس هويته، فبعد الاستقلال أصبحت اللّغة العربية اللّغة الرّسمية في البلاد ولغة التّعليم في المدارس واللّغة المعتمدة في المؤسسات الحكومية فعادت إلى مكانها الطّبيعي كجزء مهم من مقومات الهوية الجزائرية وكوسيلة ضرورية للحفاظ على التّراث والتّنوع الثّقافي في الجزائر وتعزيز الانتماء الوطني لأفراد الشّعب، فاللّغة ليست أداة للتّواصل والتّعبير والتّأثير فقط، بل هي مصدر لقوة الشّعوب وركيزة أساسة في تحقيق وحدتها.

- إنّ الهوية الأدبية للأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسية موضوع جدل ونقاش بين الدّارسين والمثقفين الجزائريين، لذا تتباين الآراء حول جنسيته الأدبية، حيث يعتبره البعض أدبا جزائريا، بينما يرى البعض الآخر أنه أدب فرنسي استنادًا إلى اللّغة التي يكتب بها، وهناك وجهة نظر ثالثة تعتبره أدبًا فرنسيًا بروح جزائرية، أي يجمع بين اللّغة الفرنسية والتّراث الأدبي الجزائري .

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

- إن كتابات الرّوائيين الجزائريين الذين يكتبون باللّغة الفرنسية وإن حُدّدت هويتها الألسنية على أنّها هوية فرنسية غربية، إلاّ أنّه وبالنّظر إلى موضوعها فهي تنتمي إلى الوسط العربي الجزائري فهي ذات هوية عربية بحكم موضوعها، فقد عان هؤلاء الكتّاب التباسا في محددات الهوية. والتّعاطي مع هويتهم الجزائرية الوطنية في المنفى وذلك لأنّ رواياتهم كتبت في وقت الاحتلال الفرنسي للجزائر فحملت معاناتهم مع الهوية الشخصية والوطنية، فإذا شاء هؤلاء الكتّاب أن يعبّروا عما في نفوسهم فإنّهم لا يجيدون لذلك من وسيلة سوى اللّجوء إلى اللّغة الدّخيلة لغة العدو تلك اللّغة التي أتقنوها أيما إتقان.

- واجه الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية تحديات ولازال، خاصة فيما يتعلق بالانتماء القومي، سواء كان تحديد هوية هذا الأدب من خلال الجانب اللّغوي أم لا رغم ذلك يعتبر هذا الأدب جزءًا من التّراث الوطني من حيث المضمون الفكري والاجتماعي، وبالرغم من التحديات، فإنّ الكتّاب الجزائريين مازالوا مستمرّين في كتابة أعمالهم الإبداعية باللّغة الفرنسية في الجزائر. وتظل التّقاليد الأدبية باللّغة الفرنسية حاضرة ومستمرة، وهناك أدباء يؤكّدون على أنّه لا يوجد فرق أساس بين الكتابة باللّغة الفرنسية أو العربية، مادام الكاتب يبدع بغض النّظر عن اللّغة التي اختارها للكتابة ومادام يروي واقع بلاده حاملا رسالة تعبر عن الواقع.

7. المراجع

1. البريدي، عبد الله. (2012م). اللّغة هوية ناطقة. سلسلة كتاب المجلة العربية. المملكة العربية السعودية.

2. بوداود، عمير. (2018م). "مالك حداد إنّ اللّغة الفرنسية لمنفاي" HTTPS://WWW.NAFHAMAG.COM/2018/06/032021

3. بوزيدي، زهيرة. (2014م). " لغة المنفى وانشغالات الذات في روايات مالك حداد". مجلة الآداب و اللّغات. (9). ص 44-45.

4.تابوري، أندريه. (2009م). اللّغة والهوية في دليل السوسيولسانيات. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

5. جلال، حمودة. خروب، محند يحيى. (2020م) "الترجمة وسيطا لتناقضات الهوية اللغوية في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية حالة محمد ديب أنموذجا". مجلة معالم. 10(01). ص 40.

6. حداد، مالك. (2006م). التّلميذ والدّرس. الجزائر: منشورات دار الثّقافة.

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

7. حداد، مالك. (1968م). سأهب لك غزالة. تونس: الدار التّونسية للنشر.

8. الرّكيبي، عبد الله. (1983م). القصة الجزائرية القصيرة. ط1. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

9.سعد الله، أبو القاسم. (2007م). دراسات في الأدب الجزائري الحديث. ط5. الجزائر: دار الرائد للكتاب.

10.سعد، محمد خضر. (1967م). الأدب الجزائري المعاصر دراسة أدبية تقدية. بيروت: منشورات المكتبة العصرية.

11. عياض، سليمة. (2022). الهويّة الوطنية وإشكالية التّعدد اللّغوي في الجزائر. مجلّة قضايا لغوية. وحدة البحث اللّساني وقضايا اللّغة العربية في الجزائر. (01). ص65.

12.قحّام، التوفيق. (2017/2016م). أزمة الهوية في الرّواية الجزائرية المعاصرة. رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب واللغات جامعة محمد لمين دباغين سطيف. الجزائر.

13.مرتاض، عبد المالك. (1969م). نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1945م. ط1. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

14. مسلم، محمد. (2004م). خصوصية الهوية وتحديات العولمة. ط1. الجزائر: دار قرطبة.

15. المناصرة، عز الدّين. الهويات والتّعددية اللّغوية قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن. عمّان: الصايل للنّشر والتّوزيع.

16. منور، أحمد. (2006م). "من هو الكاتب الجزائري وهوية الأدب الذي يكتبه؟" مجلة الثقافة الجزائر. (8/9) . ص122.

17. منور، أحمد. (2007م). الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

18. واسيني، الأعرج. (1986م). اتجاهات الرّواية العربية في الجزائر . الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

19.بوكبة، عبد الرّزاق. (2014م) "مالك حداد يخرج من منفاه" https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2014/1/5/

8.References (In Latin letters)

1. Al-Baridi, Abdullah. (2012 AD). Language is a speaking identity. The Arab Journal Book Series. Kingdom of Saudi Arabia. (Written in Arabic)
2. Bodawood, Amir. (2018 AD). “Malik Haddad, the French language is for my exile”. https://www.nafhamag.com/2018/06/032021. (Written in Arabic)

3. Bouzidi, Zahira. (2014 AD). The Language of Exile and the Preoccupations of the Self in Malik Haddad's Novels. Journal of Arts and Languages. (9). pp. 44-45. (Written in Arabic)
4. Tabori, Andre. (2009 AD). Language and Identity in the Sociolinguistics Handbook. Lebanon: Center for Arab Unity Studies. (Written in Arabic)
5. Jalal, Hamouda. Kharoub, Mohand Yahya. (2020 AD) "Translation as a Mediator for the Contradictions of Linguistic Identity in Algerian Literature Written in French, the Case of Mohamed Deeb as a Model." Maalim Journal. 10(01). p. 40. (Written in Arabic)
6. Haddad, Malik. (2006 AD). The student and the lesson. Algeria: House of Culture publications. (Written in Arabic)
7. Haddad, Malik. (1968 AD). I will give you a deer. Tunisia: The Tunisian Publishing House. (Written in Arabic)
8. Al-Rukaibi, Abdullah. (1983 AD). Algerian short story. I 1. Algeria: National Book Foundation. (Written in Arabic)
9. Saad Allah, Abu Al-Qasim. (2007 AD). Studies in modern Algerian literature. 5th edition. Algeria: Dar Al-Raed Book. (Written in Arabic)
10. Saad, Muhammad Khader. (1967 AD). Contemporary Algerian literature critical literary study. Beirut: Modern Library Publications. (Written in Arabic)
11. Ayyad, Salima. (2022). National identity and the problem of linguistic diversity in Algeria. Linguistic Issues Journal. Linguistic Research Unit and Arabic Language Issues in Algeria. (01). p. 65. (Written in Arabic)
12. Qahham, Al-Tawfiq. (2016/2017 AD). Identity crisis in the contemporary Algerian novel. A thesis submitted to obtain a doctorate degree, Faculty of Arts and Languages, University of Mohamed Lamine Debaghine, Setif. Algeria. (Written in Arabic)
13. Mortada, Abdel-Malik. (1969 AD). The renaissance of contemporary Arabic literature in Algeria 1925-1945 AD. Algeria: The National Company for Publishing and Distribution. (Written in Arabic)
14. Muslim, Muhammad. (2004 AD). Identity privacy and the challenges of globalization. I 1. Algeria: Dar Cordoba. (Written in Arabic)
15. Al Monasra, Izz al-Din. Identities and linguistic pluralism readings in the light of comparative cultural criticism. Amman: Al-Sayel for publishing and distribution. (Written in Arabic)
16. Munawar, Ahmed. (2006 AD). Who is the Algerian writer and the identity of the literature he writes? Algeria Culture Journal. (9/8). p. 122. (Written in Arabic)
17. Munawar, Ahmed. (2007 AD). Algerian literature in the French language: its origin, development, and issues. Algeria: University Press Office. (Written in Arabic)
18. Wasini, Laarej. (1986 AD). Trends in the Arabic novel in Algeria. Algeria: National Book Foundation. (Written in Arabic)

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

19. Boukba, Abdul Razzaq. (2014 AD) “Malik Haddad emerges from his exile” https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2014/1/5/.(Written in Arabic)

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894